

نفحات القرآن

[59] أزلي أبدي . والملاحظ أن من بين هذه الإحتمالات يتوجّه الإستفهام الإنكاري إلى إحتمال خالقية الإنسان للسموات والأرضين فقط الإحتمالات الأخرى في الآيات السابقة ، وعدم التكرار هو مقتضى الفصاحة والبلاغة . من هنا فإن الآيتين أعلاه أقامتا برهان العلّة والمعلول في الآفاق والأنفس ، وعليه فإن الآية الثانية تشهد كذلك على أن الحديث يدور حول العلّة الفاعلية لا الغائية . في الختام تشير هذه الآية إلى هذه الحقيقة وهي أن القضايا في هذا الصدد واضحة ، ولكن العيب هو أنهم لا يستعدّون للإيمان واليقين (بل لا يوقنّون) . أجل ، إن الحق بيّن ، بيد أنهم معاندون وأعداء للحق . وفي الحقيقة فإن هذه الجملة تشابه ما ورد في الآية (4) من سورة الجاثية : (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْدُؤُا مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) وتشابه ما ورد في الآية (20) من سورة الذاريات . (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ) . وواضح أن أولئك لو كانوا موقنين لما احتاجوا إلى الآيات ، وعليه فإن الحديث يدور حول الذين لا يقين لديهم ولكنهم على إستعداد لقبوله . وذهب جمع من المفسّرين إلى أن المقصود هو أن أولئك لا يقين لهم بأنهم خالقو السموات والأرض ، بل يعتقدون بأن الخالق هو الخالق ، نظير ما جاء في الآية (25) من سورة لقمان (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) (1) . بيد أن هذا التفسير يبدو بعيداً . _____ 1 - أقرّ الزمخشري هذا التفسير في الكشاف وقد احتمله الفخر الرازي وجمع آخر من المفسّرين .